استشعار المسؤولية الدينية

إعداد

دائرة التوعية بالملتقى الإسلامي
للتوعية والتأهيل

الطبعة الأولى

بتاريخ ١٧ / ٩ /٢٠١٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للَّه ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، الذين أذهب اللَّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً - وبعد:

يسرّ دائرة التوعية بالملتقى الإسلامي أن تقدم لجمهورها الكريم هذا الكتيب الصغير في حجمه والكبير في فائدته (إستشعار المسؤولية الدينية) ويأتي هذا الكتاب ضمن عمل الدائرة في إخراج سلسلة توعوية قادمة إن شاء اللَّه تعالى آملين أن ينال رضا القراء وأن يثمر في تنمية الوعي بواجب المؤمنين تجاه دين اللَّه الحنيف وتجاه أمتهم ..

وخلال ذلك نجدد العهد للَّه تعالى ولرسوله -صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وآله وَسَلَّم- ولأئمة أهل البيت -صلوات اللَّه عليهم ولقيادة الملتقى الإسلامي المباركة ممثلة في السيد العلامة الحجة أحمد بن درهم حورية المؤيدي أيده اللَّه تعالى بالسير على ما اختطته القيادة من العمل على رفع الوعي لدى المجتمع من خلال نشر الفكر النقي الذي نستمده من أهل بيت النبوة عليهم السلام

ونسال اللَّه أن يوفقنا للقيام بالمهمة المناطة بنا ومنه نستمد العون والتوفيق وصلى اللَّه وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين

دائرة التوعية بالملتقى الإسلامي للتوعية والتأهيل

بتأريخ ١٧ / ٩ /٢٠١٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين

استشعار المسؤولية الدينية

أن تكون إرادة تغيير الواقع السيئ إلى النحو الذي يريده الله شعارا لقلب المؤمن، ومحيطا به، مستشعرا إياه كل لحظة وفي كل عمل آخذا بمجامع قلبه، وعصارة تفكيره فهذا هو الإيمان الحق، والعمل الصالح الذي أراده الله من عبيده المؤمنين.

إن المسلم الغيور على دينه ليُحْزِنه أشد الحزن ما آلت إليه حالة المجتمع المسلم من بُعْدٍ عن تعاليم الدين، من بُعْدٍ عن القرآن، وما جاء به رسول الله (صلى الله وسلم عليه وعلى آله وسلم) من شرائعَ وأحكامٍ تضمن سعادتهم في الدنيا والآخرة؛ فقد أصبحت أكثر هذه التعاليم غائبة عن التطبيق في معظم نواحي الحياة أخلاقياً، واجتماعياً، واقتصادياً، وسياسياً.

واقع يستوجب التغيير

نرى أكثر الناس همهم إصلاح أحوالهم الدنيوية، نراهم غافلين أنهم مكلفون، محاسبون، سيعرضون على الله للمساءلة، وأن وراءهم عذابا شديدا، وجنة عرضها السماوات والأرض، فتراهم كأنهم قد خُلِقُوا

للدنيا، مضيعين حتى للواجبات الشرعية من صلاة وغيرها وهي من أعظم أركان الدين فما بالك بغيرها.

كثيرٌ منهم قد انخدعوا بالغزو الفكري والثقافي، وانجروا وراء الملذات التي استهوتهم وسيطر عليهم ما تبثه وسائل الإعلام من مشاهد فاضحة، وأفكار هدامة، الهدف منها نشر الفاحشة والرذيلة في مجتمعاتنا وهدم بنيان المجتمع وشغلهم وشغل أوقات فراغهم فيما لا فائدة فيه.

نرى المسلمين أقل الشعوب وعياً وثقافة، وأكثرها تخلفاً، غابت في تعاملاتهم قيم الصدق والأمانة والحب والإخاء، وانتشر الكذب والظلم والأنانية والحقد والكراهية والرشوة والفساد وانتهاك المحرمات كبيرها وصغيرها.

يعيش غالبية من الناس في فقر ونكدٍ من العيش، لا يستطيعون تأمين معيشة طيبة، وكم قد سمعنا من أناسٍ يقتاتون من مخلفات غيرهم، ونجد المرضى الذين لا يستطيعون تأمين الدواء، وفي الجانب الآخر نجد الظالمين قد استأثروا بثروات المجتمع، يعيشون فيها بلا حسيب ولا رقيب.

كم من مسكينٍ سطى الظالمون على ماله لا يستطيع فعل أي شيء إزاء ذلك لا يجد نصيراً ولا معيناً.

كم من شابٍّ لا يستطيع إيجاد فرصة عمل، تمر عليه مرحلة الشباب وهو في سعيٍ وكدٍّ، لا يستطيع أن يعف نفسه بالزواج، ولا إيجاد المأوى المناسب، بينما نجد تسلّط بعض أفراد المجتمع على ثروات البلد بالنهب والسلب والبطش والقوة والرشوة فلا يستطيع الفقراء والمستضعفون الوصول إلى شيء منها.

كم من مقتولٍ ظلماً، منتهب العرض والمال، وكم أرملةٍ ويتيمٍ

ومظلومٍ ومتسوِّل ومتشرِّد نعلم بهم ونشاهدهم لا يستطيعون الوصول إلى حقوقهم.

فشا التعامل بالربا الذي هو من أعظم المعاصي والشرور، وشاع الزنا، وأخذ أموال الناس بالباطل والسرقة، وقذف المحصنات، وشرب الخمر إلى آخر ذلك مما يطول حصره.

لقد أُقْصِيَ القرآن عن واقعه المنزل فيه، لقد أُقْصِيَ القرآن عن واقعه العملي، وشلت حركته في ميادين العمل، و حُصِرَ في شؤون العبادة الفردية وافتتاح الاحتفالات والمناسبات، وغُيِّبَتِ الشريعة عن أنظمة الحياة، وبُدِّلَتِ الأحكام، وانتُهِكَت الحدود، أصبح الحكم بغير ما أنزل الله هو الغالب، تسلَّط الظالمون على رقاب الناس يسيِّرونهم على غير هدى من الله.

تسلط على المسلمين الغرب والشرق، واليهود والنصارى، الأمريكيون والبريطانيون والفرنسيون والصهاينة، وأصحاب الأديان الأخرى، ينهبون ثرواتنا، ويقتلون أبناءنا، ويستعمرون أراضينا وحكوماتنا، إخواننا الفلسطينيون وغيرهم من المظلومين ينادوننا، القدس ينادي وا إسلاماه وا عروبتاه يا أمة القران، يا أمة الإسلام يا أمة محمد، ولكن لا مجيب.

يا أتباع الكرار قاهر اليهود، يا أتباع شهيد وذبيح كربلاء، يا أتباع شهيد الكناسة، يا أتباع القاسم والهادي والناصر إن الرهان كل الرهان في تغيير واقع الامة الإسلامية الى الأحسن والأفضل بعد الله هو عليكم لأنكم جنود الله في أرضه كما في بعض الروايات،

وعلى الجملة فإن مجتمعاتنا الإسلامية بعيدة جداً عن المجتمع الذي يريده الله سبحانه وتعالى، وسعى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وسخر كل جهده لإقامته، ونحن أمام هذا كله نشاهد ونرى،

ثـم نقـف، وكأن الأمـر لا يعنينـا.

الفسـاد يعـم شـتَّى جوانـب الحياة، فسـادٌ في أخـلاق المجتمـع، في تعاملاته، في نهـب الأمـوال العامـة لـه، في ثقافتـه، في فكـره، فسـاد في التعليـم، فسـاد في الاقتصـاد، فسـاد في السياسـة، ونحـن نقـف متفرجـين.

هـل رضي لنـا ربنـا جـل جلالـه هـذا التفريـط في دينـه، هـل رضي اللـه لنـا ان نبقـى عاجزيـن امـام اليهـود والنصـارى، هـل رضي اللـه لنـا ان نبقـى أمـة ذليلـة مسـتضعفة مقهـورة أمـام مـن ضرب اللـه عليـه الذلـة والمسـكنة مـن اليهـود والنصـارى، هـل رضي منـا أن نبقـى رهـن شـهواتنا، وفي إسـار أهوائنـا، نتهـرّب مـن الواجبـات علينـا، ونواقـع المنكـرات التـي كرههـا لنـا؟ هـل ينسـجم ديننـا وإسـلامنا مـع حالتنـا هـذه؟!

هـل تنسـجم حياتنـا هـذه مـع قرآننـا، ونبينـا، وأئمتنـا عليهـم السـلام؟! في الواقـع نحـن بعيـدون عـن الـدور الـذي أراده اللـه منـا نحـن لم نتحمـل المسـؤولية الملقـاة عـلى عاتقنـا ونحـن نعلـم علـم اليقـين ان كل واحـد منـا مسـؤول بـين يـدي اللـه وسـوف يحاسـب عـلى تقصـيره وتفريطـه ولـن تنفعـه الأعـذار التـي كان يعتـذر بهـا في دار الدنيـا، لا أقـدر لا أسـتطيع معـي اسرة مشـغول كل وقتـي.

لا عـذر لاحـد منـا أمـام اللـه لا عـالم ولا طالـب علـم، ولا لكبـير ولا لصغـير ولا ذكـر ولا أنثـى ، الـكل مسـؤول ومحاسـب أمـام اللـه ، بـل المسـؤولية عـلى العلـماء وطـلاب العلـم أكـثر مـن غيرهـم.

عاقبة التهاون

إن أول خطـوة في سـبيل تصحيـح مسـارنا المنحـرف هـي أن نعـي خطـورة هـذا الوضـع، وأن نـدرك أن التفـرج والسـكوت أمـرٌ يمقتـه اللـه سـبحانه، وقـد يكـون سـبب خسـارتنا لآخرتنـا، فالمسـألة خطـيرة والسـكوت خطيئـة

بل يوشك الله أن يعُمَّنا بعذابٍ بسبب تقصيرنا، وعدم اهتمامنا؛ ففي قصة بني إسرائيل في عدوانهم يوم السبت لنا موعظة وعبرة، قال الله تعالى: ((وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٣) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (١٦٦)) (الأعراف).

فقد أخذ الله سبحانه وتعالى المعتدين والساكتين معاً، ولم ينج من العذاب إلا أولئك الذين سعوا لإصلاح الخلل، وحاولوا رد المعتدين عن عدوانهم، فالآية ذكرت ثلاثة أصناف:

صنف خالف وعصى أوامر الله سبحانه وتعالى.

وصنف قاوم ذلك وسعى ووعظ معذرة إلى الله سبحانه وتعالى.

وصنف ظهر بمظهر القانع المتزهد في العظة والدعوة فيهم، بحجة أنه يجب أن لا يضيع جهده في قوم سيعذِّبهم الله بذنوبهم، هذا الصنف لم يكتف بالعيش بروحه السلبية فأراد أن يوزّع يأسه وإحباطه على أولئك الجادِّين الملتزمين بأمر الله المستشعرين وقْع أوامرِه ونواهيه، لقد حاول هذا الصنف تثبيط المؤمنين وتحطيم معنوياتهم يقولون: ((لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللّهُ مُهْلِكُهُمْ))، غير أن الله تعالى في نهاية الأمر أخذ الصنفين بالعذاب، وهم صنف المعتدين الفاعلين السوء وهم الفساق، وصنف أولئك (الطيبين) الذين زهدوا عن النهي عن المنكر، وانحبسوا في حواصل ذواتهم، ولم يقوموا بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لقد أخذ الله الصنفين بعذابٍ بئيس، وسماهم

ظالمين، ولم ينج من عذابه جل في علاه إلا أولئك الناهون عن السوء.

والآية كما نرى لم تذكر إلا أن السبب هو عدوانهم يوم السبت، وهو في مجمله يعني مخالفة نهي الله.

هل مررنا على هذه الآية وتأملناها؟ لتفترض أخي المسلم أنك أحد أولئك فهلا سألت نفسك عن موقعك بينهم أين يكون؟ هل تحرّكت مشاعرك تجاه هذه الواقعة القرآنية؟ هل وعيت ما معنى أن الله عاقبهم جميعا، ولم ينج سوى من قام بدوره ووقف الموقف الذي يرضي ربه؟ هل وعيت خطورة أن يكون الإنسان متدينا سلبيا مصابا باليأس والإحباط فيحكم على الخليقة بأنه لا خير فيهم، وأن الله سيعذبهم، وبالتالي لا يدعوهم ولا يسعى لإصلاحهم؟ هل وعينا كم نحن مقصرون في أن نوجِد المجتمع الذي أراده الله من خلال منهجه الإلهي الرباني؟!!

نحن في هذا المجتمع كم نرى من منكرات وآفات ترتكب فلا ننهى عنها، وكم نرى من واجبات تترك فلا ندعو لإقامتها؟!!

المشكلة المهلكة

إن المشكلة الكبرى هي عدم الشعور بالمسؤولية، المشكلة ضعف هذا الشعور، وتدنيه إلى مستوى هابط، يغفل الإنسان أنه محاسب إزاء ما يشاهده ويعيشه، وأن الله سائله يوم القيامة ماذا قدّم؟ وماذا فعل؟ وما هو الموقف الذي اتخذه؟

إن الشعور بالمسؤولية هو أول أسباب التخلص من الوضع السيء للمجتمع، ينبغي على المسلم أن يتطلَّع إلى ما حوله من أحداث وما يجري في مجتمعه من حوادث، وما يحيط بالأمة من أخطار، وينظر هل هذا يرضي الله سبحانه وتعالى، ويسأل نفسه: ما واجبه حول

هـذه الأمـور؟ مـاذا يريـد اللـه منـي؟ مـاذا يريـد الديـن منـي؟ هـل أقـف موقـف المتفـرج؟ هـل أقـف صامتـا لا أحـرك سـاكنا؟ أم يجـب أن أعمـل مـا بوسـعي وحسـب مقـدرتي لأغـيّر هـذا الواقـع الخاطـئ، هـل عـليّ أن أعمـل لوحـدي أم أمتثـل أمـر اللـه في التعـاون عـلى الـبر والتقـوى؟

رصيد محفِّز

لنستشـعر مواقـف أولئـك الطاهريـن مـن أئمـة أهـل البيـت الأكرمـين، أئمـة الزيديـة،ـ عليهـم السـلام ـ كيـف رخُصـت أرواحهـم في سـبيل اللـه، وفي سـبيل الديـن، وحمـل رايتـه، ومحاولاتهـم السـاعية الحثيثـة لتطبيـق ديـن اللـه عـلى أرض الواقـع؟ لجعـل هـذا الديـن دينـا عمليـا يواكـب كل هـذه الاحـداث، لان يصبـح الديـن مـن لـه الكلمـة والسـيطرة لا الطاغـوت، إنهـم بـشرٌ مثلنـا ولكنهـم وزنـوا الأمـور بموازينهـا الصحيحـة، نظـروا في الأمـر بقـوة اليقـين الـذي كسـبوه مـن إيمانهـم، هـذه الدنيـا تحـاول إثناءهـم عـن طريقتهـم، وهـذه الآخـرة تدعوهـم للجنـة ولعملهـا، لم تعـد الدنيـا تشـكِّل حيِّـزا كبـيرا في عقولهـم؛ لهـذا أعطـوا كل شيء حقـه، أعطـوا الدنيـا حقهـا، وأعطـوا الديـن حقـه، وبـادروا إلى الأعـمال التـي تـرضي اللـه، إنهـم كانـوا يستشـعرون المسـؤولية أمـام اللـه عـز وجـل كـما استشـعرها أولئـك الواعظـون لقومهـم معـذرة إلى ربهـم، وطمعـا في عودتهـم إلى ديـن اللـه مـن أهـل تلـك القريـة مـن بنـي إسرائيـل.

كلنـا إذن يجـب أن يشـعر بالمسـؤولية، ويتحمـل هـذه المسـؤولية، وكلٌّ حسـب موقعـه، وبحـدود إمكاناتـه، لـو تحرّكنـا عـلى هـذا الأسـاس لكسرنـا الرتابـة التـي تعيشـها الأمـة، ولآنسْـنا الديـن في غربتـه التـي يعيشـها في هـذا الزمـان، لكـن المشـكلة تكمـن في سـكوتنا، تكمـن في رضوخنـا للواقـع، وتقاعسـنا عـن أداء واجباتنـا التـي أمرنـا اللـه بهـا في كتابـه في كثـير مـن

الآيات من الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

هل أمرنا بمعروف أو نهينا عن منكر؟!

يقول الله سبحانه وتعالى: ((وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) (آل عمران ١٠٤)، ويقول: ((وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)) (التوبة ٧١).

هذه الآية تصف المؤمنين على هذا النحو الجادِّ الملتزم النشِط الفاعل في مجتمعه، إنهم أولياءُ بعض، تربطهم علاقة دينية قوية تفوق كل العلاقات التي يميل إليها الناس عادة، ويفعِّلون مبدأ الرقابة المجتمعية في ما بينهم فهم يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وينطلقون في أعمالهم هذه من خلال الارتباط الحقيقي بتوجيهات وهدي الله عز وجل، فهم يقيمون الصلاة، ويسعون لإسعاد من حولهم من المجتمع بشيء مما أعطاهم الله، حيث يؤمنون أنهم وما ملكوا لله عز وجل، فهم يؤتون الزكاة، والتي هي دليل على طهارة النفس من الشُحِّ المُهْلِك، وهم يلتزمون الطاعة لكتاب الله وسنة رسوله الصحيحة، فخصهم الله عز وجل بالرحمة دون سواهم.

فهل تريد أخي المؤمن أن تطالك رحمةُ الله، لا يمكنك ذلك إلا إذا اتصفْتَ بتلك الأوصاف، وكانت فيك تلك الخلال. ألم يقُلِ الله تعالى في الآية الأخرى: ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)) (البقرة ٢١٨)، إن أولئك الذين يتصفون بهذه الصفات هم فقط من يرجون رحمة الله،

فليس الرجاء فيها مجرد أمانٍ حمقاء يسوِّق فيها الإنسان طموحاته غير المشروعة، إنها ممارسة عملية لواقع تلك الصفات العظيمة التي تجعل من الإنسان مبادرا لفعل الطاعات واجتناب المقبحات ودعوة المجتمع إلى الفضيلة وترك الرذيلة.

يقول الحق تبارك وتعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣)) (الصف).

هل نريد التجارة الرابحة التي فيها نجاتنا، إذا كان كذلك فيجب أن تكون بضاعتنا هي بضاعة العمل الجاد في منهج الله، هي الإيمان بالله وبرسوله (العقيدة)، وهي الممارسة المجتمعية السليمة التي هي أن يعيش الإنسان هموم الدين، هموم وآمال النصرة له، التي هي الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس، تقول لنا الآيات إننا لو سلكنا تلك السبيل ولو ظننا أنها متعبة ومزعجة لكنها في الحقيقة خير لنا، إن الله يعد المتاجرين بهذه التجارة بأرباح هي خير من كل شيء، فقط علينا أن نؤمن بوعد الله، علينا أن نعلم ونوقن أن الله بيده مفاتيح السماوات والأرض، بيده النصر والظفر، وسينصر الله من ينصره ورسله، إن الآيات تعرض بعضا من الفوائد، بعضا من الخير، غفران الذنب، ودخول الجنات، والنصر من الله، والفتح القريب، والبشرى للمؤمنين، قدّم الله الفوائد الأخروية؛ لأنها هي الحقيقة، ثم الفوائد العاجلة التي يرجوها المؤمنون من النصر والتمكين،

تبين الآيات في صورة مهيّجة للمشاعر وبلغة الأرباح المغرية أهمية

أن يكـون للإنسـان موقـف في حياتـه ومجتمعـه، بعـد التأكـد مـن صحـة تصـوره وسـلامة عقيدتـه، ليـأتي بعـد ذلـك النـصر الإلهـي، والفتـح القريـب، الآيـات تجعـل مـن هـذا الأمـر بـشرى للمؤمنـين، أنـه سـوف يحصـل في القريـب العاجـل مـا يبـشّرون بـه.

فهـلا انغرسـت هـذه الوعـود الإلهيـة في وعينـا وفي عقولنـا، هـلا دفعتنا إلى التحـرك في سـبيل اللـه، هـلا دعتنـا إلى التجـرد عـن الأهـواء، والتنصـل عـن الدعـة والرخـاء، هـلا فطمتنـا عـن أهوائنـا الشريـرة، وعـن قناعاتنـا السـلبية التـي تحبِّـب إلينـا الكسـل، وتنمـي مشـاعر الإحبـاط، وتعزلنـا عـن هدايـة اللـه عـز وجـل!!

يقـول اللـه سـبحانه وتعـالى (وَجَاهِـدُوا فِي اللَّـهِ حَـقَّ جِهَـادِهِ هُـوَ اجْتَبَاكُـمْ وَمَـا جَعَـلَ عَلَيْكُـمْ فِي الدِّيـنِ مِـنْ حَـرَجٍ مِّلَّـةَ أَبِيكُـمْ إِبْرَاهِيـمَ هُـوَ سَـمَّاكُمُ الْمُسْـلِمِينَ مِـن قَبْـلُ وَفِي هَـذَا لِيَكُـونَ الرَّسُـولُ شَـهِيدًا عَلَيْكُـمْ وَتَكُونُـوا شُـهَدَاءَ عَـلَى النَّـاسِ فَأَقِيمُـوا الصَّـلَاةَ وَآتُـوا الـزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُـوا بِاللَّـهِ هُـوَ مَوْلَاكُـمْ فَنِعْـمَ الْمَـوْلَىٰ وَنِعْـمَ النَّصِيرُ) آيـة ٧٨ سـورة الحـج

خسر المتخاذلون

إن الجهـاد في سـبيل اللـه فضـلٌ مـن اللـه، إنـه خـير كبـير يعرضـه اللـه لعبيـده المؤمنـين يحققـون مـن ورائـه الأربـاح العاليـة، والمكاسـب العزيـزة، وسـنة اللـه تقـضي أن مـن تخلّـف عـن هـذا السـبيل فـإن اللـه سـييسّر مـن يقـوم بهـا، ولـن يخـسر إلا المتخاذلـون، سـييسر قومـا لليـسرى، للجهـاد الحـق، للثقـة المطلقـة في اللـه، حيـث يكـون هـو جهـة التعامـل الوحيـدة في هـذا العـالم، يقـول تعـالى: {يَـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـوا مَـنْ يَرْتَـدَّ مِنْكُـمْ عَـنْ دِينِـهِ فَسَـوْفَ يَـأْتِي اللَّـهُ بِقَـوْمٍ يُحِبُّهُـمْ وَيُحِبُّونَـهُ أَذِلَّـةٍ عَـلَى الْمُؤْمِنِـينَ أَعِـزَّةٍ عَـلَى الْكَافِرِيـنَ يُجَاهِـدُونَ فِي سَـبِيلِ اللَّـهِ وَلَا يَخَافُـونَ لَوْمَـةَ لَائِـمٍ ذَلِـكَ فَضْـلُ

اللَّـهِ يُؤْتِيـهِ مَـنْ يَشَـاءُ وَاللَّـهُ وَاسِـعٌ عَلِيـمٌ} (المائـدة)٥٤.

ويقـول الرسـول صـلى اللـه عليـه وعـلى آلـه وسـلم: ((مـن غابـت عليـه شـمس نهـار وهـو لم يأمـر بمعـروف ولم ينـه عـن منكـر فقـد تبـوأ مقعـده مـن النـار))، وقـال: ((لتأمـرن بالمعـروف ولتنهـن عـن المنكـر أو ليسـلطن اللـه عليكـم شراركـم ثـم يدعـوا خياركـم فـلا يسـتجاب لهـم)).

ويقـول الامـام عـلي عليـه السـلام:(أَمَّـا بَعْـدُ، فَـإِنَّ الجِهَـادَ بَـابٌ مِـنْ أَبْـوَابِ الجَنَّـةِ، فَتَحَـهُ اللـهُ لِخَاصَّـةِ أَوْلِيَائِـهِ، وَهُـوَ لِبَاسُ التَّقْـوَى، وَدِرْعُ اللـهِ الحَصِينَـةُ، وَجُنَّتُـهُ الوَثِيقَـةُ، فَمَـنْ تَرَكَـهُ رَغْبَـةً عَنْـهُ أَلْبَسَـهُ اللـهُ ثَـوْبَ الـذُّلِّ، وَشَـمِلَهُ البَـلاَءُ، وَدُيِّـثَ بِالصَّغَـارِ وَالقَـمَاءَةِ، وَضُرِبَ عَـلَى قَلْبِـهِ بِالأَسْـدَادِ، وَأُدِيـلَ الحَـقُّ مِنْـهُ بِتَضْيِيـعِ الجِهَـادِ، وَسِـيمَ الخَسْـفَ ، وَمُنِـعَ النَّصَـفَ)

وكثـير هـي الآيـات والأحاديـث التـي نحـن مـن خلالهـا مسـؤولون عـن غـرس قيـم الخـير والفضيلـة والعـدل والمسـاواة، مسـؤولون عـن اقتـلاع الـشر والفسـاد والظلـم والضـلال والانحـراف مـن المجتمـع، ولا شـك بـأن الجهـود الجماعيـة المنظمـة الفاعلـة والمخطّـط لهـا هـي أقـوى تأثـيرا وأكـثر فعاليـة، وإذا كان كذلـك فـإن العاقـل يؤمـن بوجـوب انتهـاج هـذا السـبيل الـذي يحقـق الثمـرة المرجـوة والخـير المأمـول.

إن الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر ونـصرة المسـتضعفين والمسـاكين والجهـاد بالأمـوال والأنفـس في سـبيل هـذا الديـن مـن الواجبـات التـي تكـرَّر التذكـير بهـا في القـرآن الكريـم والسـنة النبويـة وفي أعـمال الطاهريـن مـن أهـل البيـت الأكرمـين وأوليائهـم المؤمنـين، ((إِنَّمَـا الْمُؤْمِنُـونَ الَّذِيـنَ آمَنُـوا بِاللَّـهِ وَرَسُـولِهِ ثُـمَّ لَـمْ يَرْتَابُـوا وَجَاهَـدُوا بِأَمْوَالِهِـمْ وَأَنْفُسِـهِمْ فِي سَـبِيلِ اللَّـهِ أُولَئِـكَ هُـمُ الصَّادِقُـونَ)) (الحجرات ١٥).

فهـل نحـن مـن هـؤلاء الذيـن وصفهـم اللـه في هـذه الآيـات؟ لا سـيما واللـه قـصر وصـف المؤمنـين بأنهـم هـم الذيـن يأمـرون بالمعـروف، وينهـون

عـن المنكـر، بأنهـم هـم مـن يجاهـدون في سـبيل اللـه.

أيهـا الإخـوة المؤمنـون يجـب علينـا الجهـاد بأموالنـا وأنفسـنا في سـبيل اللـه لنكـون مؤمنـين حقـاً، لنسـتحق النـصر الإلهـي والفتـح القريـب والجنـة الموعـودة.

كيف نجاهد؟!

يجـب أن نعلـم أن الجهـاد ليـس هـو القتـال فحسـب، بـل هـو أن نعمـل كلّـما بوسـعنا مـن أفعـال وأقـوال، وبـذل وعطـاء، هـو أيضـا أن نبـذل أموالنـا لنـصرة الديـن ونـشره، هـو أن نكـون طَـوْعَ أوامرِ اللـه ونواهيـه في مـا نُـسَرُّ بـه وفي مـا نكرهـه، هـو أن نوطّـن أنفسـنا لإجابـة داعـي اللـه في أي مـكان وفي أي موطـن.

وإذا تأملنـا قليـلا في كتـاب اللـه نجـد أن الإنسـان ليـس مسـؤولاً عـن نفسـه فحسـب، بـل هـو مسـؤول عـن أهلـه {يَـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـوا قُـوا أَنفُسَـكُمْ وَأَهْلِيكُـمْ نَـاراً وَقُودُهَـا النَّـاسُ وَالْحِجَـارَةُ عَلَيْهَـا مَلَائِكَـةٌ غِـلَاظٌ شِـدَادٌ لَا يَعْصُـونَ اللَّـهَ مَـا أَمَرَهُـمْ وَيَفْعَلُـونَ مَـا يُؤْمَـرُونَ} (التحريم ٦)، وهـو مسـؤول عـن هـذا الديـن والإسـلام مـاذا قـدّم في سـبيله، مسـؤول عـن مجتمعـه هـل أمـر بالمعـروف ونهـى عـن المنكـر ودعـى إلى الخـير فيـه؟ إنـه مسـؤول عـن مجتمعـه، عـن أمتـه، عـن كل مـا يمكنـه أن يحقـق فيـه مـا يخـدم الإسـلام وقضايـاه المختلفـة.

لكن هناك تقصير وقصور

لكـن المشـكلة هـو أن الآخرة ليسـت ذات وزن ثقيـل في موازيننـا الدنيوية، ألا نعطـي أجـل أوقاتنـا للدنيـا، ونعمـل أعـمالاً كبـيرة لصالحنـا الشـخصي كأنهـا هـي نهايـة المطـاف؟، مـع أن هـذه الأعـمال إنمـا يقتـصر نفعهـا عـلى

الدنيا ولن نستفيد منها في الآخرة، المشكلة هي أننا نغض الطرف عن واجبات كبيرة ملقاة على عواتقنا هي لصالح ديننا، وخدمة مجتمعنا، وإذا عملناها نجعلها في الهامش ولا نقوم بها كاملة.

قد تقوم ببعض الواجبات وتظن أنها كل الدين وأنها هي المطلوبة منك فقط، ويصور الشيطان لك أنك كامل في عملك، وأنك قد أديت ما عليك من واجب سعياً من الشيطان في إضلالك، ومنعا لك من التزود بمزيد من العطاء والخير والأجر.

وفي الحقيقة هناك الكثير من الواجبات التي قصّرنا فيها مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير التي بسبب تقصيرنا فيها قد نستحق اللعن كما لعن الله بني إسرائيل ؛إذ يقول: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ} (المائدة٧٨- ٧٩)، ونستحق بذلك الخلود في جهنم والعياذ بالله، ونفوِّت على أنفسنا النعيمَ الخالدَ بسبب جهلنا وتقصيرنا عن أمورٍ أمرَنا الله بها.

إن الخسران أيها الإخوة المؤمنون أن نسعى لأجل الحياة الفانية بكل أوقاتنا وبكل جهودنا وبكل ذكائنا وعقولنا، بينما نترك الآخرة الباقية في هامش حياتنا، وفي هامش جهودنا، وبما لا يتعارض مع مصالحنا الأنانية مع علمنا أننا مفارقون لهذه الحياة وأننا سننتقل عنها إلى دار الخلود في الجنة أو الخلود في النار والعياذ بالله.

أيها الإخوة المؤمنون: هذا كتاب الله يناديا أن نجاهد في سبيله، في سبيل ثمرة دينه، في سبيل تطبيقه على أرض الواقع، يحثنا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء إلى الخير ونحن إلى متى نردِّدُ التبريرات والأعذار الواهية في تقاعدنا وتقاعسنا عن نصرة هذا الدين.

الله لا يرضى بالخمول والسكوت

إن الله خلقنا بأجسام سوية، وعقول نيرة، وأوضح لنا الطريق وأمرنا أن نعمل ونحن الذين اخترنا التقاعس وجنَحْنا إلى الخمول والكسل والسكوت وأوجدنا لأنفسنا التبريرات التي لا ترضي الله ولا رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، بل لا نحب أن نلقى الله بها، حيث نتيقّن أننا نستحي أن نقابل الله بمثل تلك الأعذار الواهية التي لا تنطلي على إنسان فكيف بالله العالم بما تخفي الصدور.

لم لا ننظر إلى سلفنا وأئمتنا العظام ولنا فيهم قدوة وأسوة فإنهم لم يجنحوا إلى ما جنحنا إليه، ولم يقفوا مثل ما وقفنا نحن، لقد قدّموا أرواحهم وأموالهم وجهدهم وأوقاتهم، وضحوا بالغالي والنفيس، وبالنفوس والأرواح والأولاد، فعلوا كل ما يمكن أن يُفْعَل في هذا العالم، النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول:(والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر، ما تركته، حتى يظهره الله أو أهلك دونه) وقال الامام الحسين بن علي عليه السلام (إن كان دين محمد لم يستقم إلا بقتلي فيا سيوف خذيني) وكان الإمام زيد بن علي عليه السلام يقول: ((وددت والله أنها تؤجج لي نار وأحرق فيها ثم أصير بعد ذلك إلى رحمة الله وأن في ذلك صلاحا لأمة جدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم)).

وهذا الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام قالوا لمحمد بن منصور المرادي الذي صحبه خمسة وعشرين عاماً: ما لنا لا نراك تروي روايات كثيرة عنه وقد صحبته هذه المدة؟! قال: أتظنون أننا كلما أردنا أن نكلِّمه كلَّمْناه، والله ما كنا نقدر على تكليمه؛ لأنه كان قد أُشْرِب حزناً على أمة جده محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فعلا لقد عاش الإمام القاسم حياته منابذا للظالمين ساعيا في تغيير

واقعه المؤلم، فكان مُطارَداً مستتراً يتخفى كل يوم في بلاد لمواجهته الظالمين وصدعه بالحق، ولما كان في مصر بلغه أن هناك ملحداً يورد إشكالات وشبها على المسلمين تشككهم في دينهم، وكان الملحد لا يجد إلا الطرد والشتم ولم يستطيعوا أن يجابهوه بالحجة والبرهان، فغار عليه السلام على دين الله وطلب مواجهة الملحد، مع أن في ذلك خطورة عليه من الظالمين، فهم يبحثون عنه بجدٍّ وقد بذلوا الأموال لمن يدلهم عليه، طلبه لمناقشته والحوار معه، فناقشه وردّ عليه، واستطاع في نهاية الأمر أن يقنعه بأن دين الإسلام هو الدين الحق، فآمن بالله، ودخل في دين الله، وهذه المناقشة موجودة في كتابٍ اسمه ((الرد على الملحد)).

صدقت عزائمهم فغيروا واقعهم

نحن بحاجة إلى هذه الغيرة على الدين، أن نوجِد في أنفسنا هذه الهمَّة لنشره والدعوة إلى تطبيقه، نحن بحاجة إلى أن تكون لنا همة لا تتوارى وراءها التخوفات حين يراد الكيد لدين الله، نحتاج همة حتى لا نرى من يطعن في ديننا إلا ونسعى للرد عليه، حتى لا نرى من يبتعد عن الدين إلا ونسعى في هدايته.

ألا ترون الآن كيف يشوَّه هذا الدين من قبل جماعات تنتمي إليه وتمارس أبشع الأخلاق، وأوقح التعاملات، ألا نراهم اليوم بأفعالهم يزرعون الشكوك في دين الله في عقول أجيالنا من خلال تطرفهم وتمثلهم الدين تمثلا سيئا، ونحن مع ذلك نتوارى خلف لامبالاتنا، نتوارى في مساجدنا، في بيوتنا، في قرانا، في مناطقنا التي لا نستطيع أن نخرج منها، كم هي المسافة التي تفصلنا عن الإمام القاسم في هذا الموقف، إنه لمن المفيد لنا أن نقتفي أثر هذا الإمام وغيره من الأئمة

الطاهريـن.

وهـذا حفيـده الهـادي يحيـى بـن الحسـين أتى إلى اليمـن مـن بـلاد الـرس ونـشر الديـن وأصلـح اليمـن، وأقـام الدولـة العادلـة، وملأ اليمـن مسـاجد ومـدارس وعلـماء، وأوجـد نهضـة علميـة وفكريـة اسـتمدت جذورهـا مـن مدرسـة النبـي محمـد صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم، التـي تناقلهـا أهـل بيته الكـرام، لقـد نـشر مذهـب العـدل، ودحـر الباطنيـة، يحـكى أنـه في عـصر من العصـور اللاحقـة اجتمـع في ظفـار أكـثر مـن أربعـة آلاف عـالم لمبايعـة أحـد الأئمـة، كل ذلـك ببركتـه وثمـار جهـوده، ومـع جهـوده هـذه وتركـه لبـلاده وأهلـه ومالـه، أقسـم أنـه لم يـأكل في بـلاد اليمـن منـذ أن أتى إلى أن تـوفي شـيئاً مـن أمـوال اليمـن، بـل كان يقتـات مـا يسـد بـه أمـره مـن أموالـه في بـلاد الـرس التـي تأتيـه كل عـام.

وكـم هـم السـائرون في هـذا الـدرب مـن سـلفنا وأئمتنـا، كلهـم كانـوا مستشـعرين لأهميـة هـذه الفريضـة ((الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر)).

وقبلـه الإمـام إبراهيـم بـن عبـد اللـه بـن الحسـن، الملقـب بالنفـس الرضيـة، نظـر في امـرأة ذات يـوم تـأكل مـن القمامـة مـن بطـة ميتـة، فقـال لهـا يـا أمـة اللـه هـذه محرمـة، فقالـت: إليـك عنـي، فقـال لهـا: لـن أذهـب حتـى تخبريني، قالـت: أنـا وبنـاتي قـد أحِلَّـت لنـا الميتـة، لنـا مـدة كـذا وكـذا لم نـأكل، فبـكى، فقـال: أنـت واللـه وأمثالـك يخرجوننـي غـداً فأقتـل وأصلـب، وفعـلاً خـرج عـلى الظلـم وقتـل وصلـب . .. ونحـن كـم نشـاهد مـن مظلومـين ولا نحـرك سـاكناً. هـل كان إسـلام الإمـام النفـس الرضيـة هـو المحافظـة عـلى الصلـوات فقـط، وهـل ضحّـى بنفسـه إلا مـن أجـل الظلـم الاجتماعـي القائـم، فـأنّى لنـا الهـروب في ذواتنـا، وفي دعـاوى انشـغالنا بتحقيـق المسـائل العلميـة.

وهـذا الإمـام النـاصر أسـلم عـلى يديـه في بـلاد الجيـل والديلـم مليـون شـخص، وأقـام الديـن بمكوناتـه المتعـددة مـن تصـور وعبـادة وسـلوك وأخـلاق ومعاملـة، أصلـح المجتمـع حتـى وصلـوا إلى حالـة أنـه لـو سـقط عـلى أحـدٍ بـدرة مـن الذهـب لم يأخذهـا أحـد حتـى يرجـع لهـا صاحبهـا، إنـه حـين صـدق مـع اللـه صـدّق اللـه أثـره عـلى الواقـع، وأثمـر أيمـا ثمـرة فيهـم.

خرجوا إلى الواقع المطلوب فهلا خرجنا مثلهم

هـؤلاء هـم أئمتنـا كان تميُّزهـم هـو أنهـم أدركـوا واقعهـم ومـا الـذي يفـترض أن يكـون، إنهـم استشـعروا مسـؤولياتهم وآمنـوا بأهميـة ووجـوب الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر والدفـاع عـن الديـن، عرفـوا أن لا نجـاة لهـم ولا بـراءة لهـم مـن غضـب اللـه وعذابـه إلا بالقيـام بهـذه الفريضـة المهمـة، يقـول الإمـام الهـادي عليـه السـلام: (ندين بالأمـر بالمعـروف والنهي عـن المنكـر، وأن نـصرة المظلـوم والأخـذ عـلى يـد الظـالم فـرضٌ لازم، وحـقٌّ واجـب، لأن في تـرك الأمـر بالمعـروف للحـق إماتـة، وفي تـرك النهـي عـن المنكـر للباطـل حيـاة، ولذلـك أوجبـه اللـه عـلى عبـاده، وفرضـه عليهـم فرضـاً بـكل مـا أمكنهـم)).

ويقـول عليـه السـلام: (فـكان أفضـل مـا افـترض عليهـم، وجعلـه حجـة مؤكـدة فيهـم، الجهـاد في سـبيله، والأمـر بالمعـروف الأكـبر، والنهـي عـن التظـالم والمنكـر، ولذلـك مـدح اللـه بـه الأنبيـاء والمرسـلين، وذلـك قولـه تعـالى: {الَّذِيـنَ يَتَّبِعُـونَ الرَّسُـولَ النَّبِـيَّ الأُمِّـيَّ الَّـذِي يَجِدُونَـهُ مَكْتُوبـاً عِندَهُـمْ فِي التَّـوْرَاةِ وَالإِنْجِيـلِ يَأْمُرُهُـم بِالْمَعْـرُوفِ وَيَنْهَاهُـمْ عَـنِ الْمُنكَـرِ وَيُحِـلُّ لَهُـمُ الطَّيِّبَـاتِ وَيُحَـرِّمُ عَلَيْهِـمُ الْخَبَآئِـثَ وَيَضَـعُ عَنْهُـمْ إِصْرَهُـمْ وَالأَغْـلاَلَ الَّتِـي كَانَـتْ عَلَيْهِـمْ فَالَّذِيـنَ آمَنُـواْ بِـهِ وَعَـزَّرُوهُ وَنَـصَرُوهُ وَاتَّبَعُـواْ

النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (الأعراف١٥٧)، ويقول: {الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} (الحج٤١)، .... إلى قوله: والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يُنال إلا بالإقدام والتصميم، والنية والاعتزام الكريم، على الجهاد في سبيل الله، وتوطين الأنفس على ملاقاة أهل الظلم والطغيان، فحينئذ ينال ذلك، ويؤدي فرض الله من كان كذلك، وهو الجهاد في سبيله وفي ذلك ما يقول في واضح التنزيل: {لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً (٩٥) دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً} (النساء ٩٥- ٩٦) ... إلى قوله: وكيف لا يكون للجهاد في سبيل الله فضل على جميع أعمال المؤمنين، وبه يحيى الكتاب المنير، ويطاع اللطيف الخبير، وتقوم الأحكام، ويُعَزُّ الإسلام، ويأمن الأنام، ويُنْصَر المظلوم، ويخمل الباطل والمبطلون، ويُعَزُّ أهل التقوى، ويذل أهل الردى، وتشبع البطون الجائعة، وتكسى الظهور العارية، وتقضى غرامات الغارمين، وينهج سبيل المتقين، وينكح العزاب، ويقتدى بالكتاب، وترد الأموال إلى أهلها، وتفرق فيما جعل الله من وجوهها، ويأمن الناس في الآفاق، وتفرق عليهم الأرزاق.

ويقول: ألستم ترون ـ عباد الله المخلصين والقائلين في الله بالتوحيد، المقرين بما ذكر الله في الوعد والوعيد - إلى دينكم مقتولاً، وإلى الحق الذي أنزله مع نبيكم مخذولاً، وحكم الكتاب معطَّلاً بينكم، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معدوم فيكم، يرتع أعداء الله من جنى أموال المسلمين، قد أمنوا من تغييركم، ويئسوا من نكايتكم، وبسطوا

أيديهم عليهم، وحكموا بحكم الشيطان فيهم، يذبحون أبناءهم، ويستحيون نساءهم، وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم، حرموهم فيئَهم، واصطفوا مع ذلك أموالهم، وأجاعوا بطونهم، وأعروا ظهورهم، وأضاعوا سبيلهم، وأخافوهم على أنفسهم، يحتفون أموالهم، ويقتلون رجالهم، يمنعونهم النصف، ويسومونهم الخسف... سفاؤهم امراؤهم، وأشرارهم حكامهم، وعظماؤهم أردياؤهم، الغدر شيمتهم، والفسق همتهم، إن عاهدوا نقضوا، وإن أمَّنوا غدروا، وإن قالوا كذبوا، وإن أقسموا حنثوا، قد قتلوا الأرامل والولدان، وحرموهم مما جعل الله لهم من السهمان، قد قتلوا الكتاب والسنة، وأظهروا المنكر والبدعة، وخالفوا ما بعث الله به النبي، وحكموا بغير حكم الكتاب المنزل.

ويقول: لقد حكم الله للحق والمحقين بالغلبة للباطل والمبطلين، ولكن أين هم المناهضون لأمره؟ المتنجِّزون لوعده، المتعرضون لنصره، فإن الله يقول: (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز)، وبلى وعسى (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً)، عسى الله أن يجعل فيكم يا أهل التوحيد خلفاً من الأولين المجاهدين، الذين بذلوا أنفسهم وأموالهم لله رب العالمين، فشمِّروا يرحمكم الله، واجتهدوا واطلبوا النجاة من الله بجهاده تنجوا.

أترون هذه الروحية العالية التي كان عليها هذا الإمام الذي أحيى الله به الدين، وأفاقت به الهداية، في بلاد اليمن، بهذه الروحية العالية تحرك في هذه الديار، واستطاع أن يوجد دولة الحق والمحقين، وأن يحقق منهج الأنبياء والصالحين، فكانت دولته الراشدة، التي أمن فيها المستضعفون، وخاف فيها الظالمون.

ستنتصرون حينما تستشعرون كما استشعروا

أيها الإخوة المؤمنون

حينما نتحرك بهذه العزيمة وبهذا اليقين في وعد الله الذي وعد بإنجازه لعبيده المجاهدين فإن النصر هو النتيجة الطبيعية، وإن تلك الآمال التي أيس من الحصول عليها الضعفاء والكسالى سوف تتحقق بإذن الله.

فقد وعد الله تعالى عباده المؤمنين بأن يمنع عنهم كيد أعدائهم فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) (محمد:٧)، فهذا وعد من الله الذي لا يخلف وعده قال الله تعالى: (وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ) (التوبة: من الآية١١١)، وقال تعالى: (وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) (الروم:٦)، فالوعد في هذه الآية بالنصر والتمكين للمؤمنين متحقق لا محالة.

ووعد بالعلو على الكافرين وهزيمتهم قال الله تعالى: (وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً) (النساء: من الآية١٤١)

ويقول تعالى (وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) [الحج:٤٠]

ويقول الله تعالى (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ.) [الروم:٤٧] فنصر الله سيتحقق لا محالة لعباده المؤمنين الذين انطلقوا لنصرة دينه.

فقط ابذلوا أيها الإخوة المؤمنون ما يجب عليكم، ثم ثقوا في الله أنه سيبارك جهودكم، وسيحيي آمالكم.

توكلوا على الله، فعليه يتوكل المتوكلون، واليه ترجع الأمور، فقط استشعروا مسؤوليتكم تجاه دينكم وأمتكم وبلدكم وإخوانكم كما استشعرها هؤلاء الطاهرون، وسترون أنكم بطريق خير ونجاة وبركة وهداية وعدل.

الواقع السيء يتطلب جهدا أكبر وفاعلا

لكنه من الواجب القول بأن الفساد والظلم الكبير الذي تعيشه مجتمعاتنا وانحرافها عن المسار الذي يريده الله سبحانه وتعالى بحاجة إلى جهد كبير وعمل عظيم؛ ذلك أن أدوات الإفساد تعمل بشكل كبير ومنظم، والمواجهة لابد أن تكون بقدرها بشكل كبير ومنظم أيضا؛ ولذا فان الأساليب التقليدية من خطب ومواعظ لم تعد كافية حيث تؤثر في دوائر محدودة، والفرد وحده تذهب أغلب جهوده سدى، بل قد يقف عاجزا أمام مواجهة هذا الفساد والظلم إن لم يجرفه تيار الفساد، وقد يشعر باليأس، ويوجد لنفسه المبررات والأعذار، ماذا أستطيع أن أفعل وحدي؟ وقد يلقي باللائمة على الآخرين، فيقول على الناس أن يعملوا، وإذا استمرينا كذلك فإن شيئاً لن يحدث، كلنا يتعذَّر ويلقي باللائمة على الآخر، فعلى من ستكون المسئولية؟ ستكون في النهاية هذه المسئولية العظيمة معلقة لا أحد يقوم بها.

تكوين الأمة ... مسؤولية جماعية

إن القيام بالدين مسئولية جماعية فالتكاليف في الإسلام كثيرة منها ما هو شخصي مثل الصلاة والزكاة والحج وما يتعلق بالنكاح والبيع والشراء وهذه تكاليف شخصية تعود إلى شخص الإنسان نفسه.

لكن هناك تكاليف جماعية لا يمكن أن تكون وأن توجد إلا بأمة تجتمع وتتعاون وتتظافر، قال تعالى: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (آل عمران١٠٤)، انظروا إلى عظمة القرآن المبيّنة حكمة الله سبحانه وتعالى، حيث هو العالم سبحانه وتعالى أن هذه المسئولية العظيمة لا يستطيع فرد وحده أو أفراد متفرقون أن يقوموا بها؛ ولذا بدأ أولاً وأوجب علينا

وفرض أن نكوّن أمة؛ إذ تكويننا يجعلنا قادرين على أداء الواجب الذي هو الدعاء إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذاً تكوين الأمة مسئولية الجميع إذا فرّطنا فيها سنُسْأَل عنها أمام الله سبحانه وتعالى ويكون هناك سؤال لكل واحد حسب الجهد الذي يستطيع أن يقدِّمه والخدمة التي يمكن أن يقوم بها.

((وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ))، هل من خير فوق الدعوة إلى الإسلام وإعادة الناس إلى الدين الصحيح الذي أراده الله منا؟ هل من خير فوق تصحيح وعي الناس ودفع الظلم عنهم؟ هل من خير فوق إنقاذ الناس من العقائد الباطلة والهدامة التي تنسب كل قبيح الى الله، وإنقاذهم من النار؟ هل من خير فوق أن يكون لكل واحد في تكوين الامة التي تقوم بهذا العمل الكبير نصيب؟

اذاً علينا جميعاً أن نكوِّن الأمة التي أمرنا الله بها ونكون من السباقين والمسارعين في تكوينها يقول الله تعالى (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ){١٠-١١الواقعة}، ويقول تعالى(وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) فالدين ليس مسئولية واحد دون واحد أو مسئولية العلماء فقط, إن الدين مسئولية الجميع، الدين بحاجة كل شخص يحتاج أن نعطيه من أوقاتنا، يحتاج إلى أموالنا، يحتاج إلى جهد كل واحد حسب مقدرته وما يتقنه.

اذاً أمرنا الله بتكوين الأمة الداعية إلى الخير الآمرة بالمعروف الناهية عن المنكر، لكن ما مفهوم الأمة؟ ما معنى الأمة؟ هل يعني ذلك أفرادا كثيرين جدا؟ عندما يقول الله: ((وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ)) ليست الأمة أفرادا كثيرين متفرقين مختلفين لا يجمعهم هدف، وليس لديهم هيكلة تجمعهم، وليس لديهم نظام ينظم أعمالهم، وليس لديهم

قيادة توجههم هؤلاء لا يسمون أمة, الأمة في الخطاب القرآني مفهومها مجموعة من الناس يترابطون ويتكاملون ويتعاونون ويأتمرون بقيادة موحدة، الكل مستجيب لهذه القيادة، ويسعون إلى هدف واحد، يتوزعون الأعمال فيما بينهم كلٌّ حسب ما يجيده من العمل، أي يكونون كالجسد الواحد يحقّقون قول رسول الله (ص): ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد)).

لنتأمل هذا الحديث البليغ فالجسد الواحد مكون من عدة أعضاء مختلفة التركيب متنوعة الوظائف, العين لها وظيفة، واليد لها وظيفة، وكذلك بقية الأعضاء، لكن تجمعها إرادة واحدة، وتعمل لأجل هدف واحد، تعمل كلها لصالح الجسد ككل، ولها مصدر قرار وحيد وهو العقل المدبر، تربط بينها روابط كثيرة ومصلحه مشتركة ولا تجد عضوا منها يعمل لأجل مصلحته الشخصية فقط، اذاً نحن مأمورون أن نكون كالجسد الواحد فهل نحن كالجسد الواحد؟

مأمورون بالاعتصام والتعاون

القرآن يحثنا أن نكون أمة واحدة فالله تعالى يعلم أننا إذا كنا متفرِّقين مختلفين فإن الدين لن تقوم له قائمة، ولذلك ذيّل الله الآية السابقة بقوله: ((وَأُوْلَـئِكَ هُـمُ الْمُفْلِحُونَ))، يحكم ويقصر الفلاح على أولئك الذين كوّنوا الأمة التي هذه صفاتها، ثم يقول: {وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (آل عمران١٠٥)، ينهانا الله تعالى عن التفرق والاختلاف تحت أي مبرر، ويتوّعد المختلفين والمتفرقين بالعذاب العظيم، لنسأل أنفسنا بإنصاف ومناصحة لأنفسنا، هل نحن أمّة واحدة أم نحن متفرقون ومختلفون؟ لم لا نعقل وعيد الله الوارد في الآية الكريمة: ((وأولئك لهم

عـذاب عظيـم))، إنـه وعيـد شـديد لا تتحملـه النفـوس المؤمنـة، ولا تكابـر نفسـها بالتغـاضي عـن الامتثـال لـه، إن أقـل مـا يخرجنـا منـه أن نسـعى في تكويـن الأمـة الآمـرة بالمعـروف والناهيـة عـن المنكـر، وألا نكـون سـببا في أي حـال مـن الأحـوال في التفـرق والاختـلاف تحـت أي مـبررات يزينهـا لنـا الشـيطان، يجـب أن نكـون مـن السـاعين إلى لمّ الشـمل وصـلاح ذات البـين لا مـن المفرقـين عـلى الأقـل.

القـرآن يريدنـا أن نجمـع جهودنـا، أن نوحـد إمكانياتنـا، القـرآن مـليء بالآيـات التـي تدعـو إلى الوحـدة والاعتصـام بحبـل اللـه: {وَاعْتَصِمُـواْ بِحَبْـلِ اللّـهِ جَمِيعـاً وَلاَ تَفَرَّقُـواْ ...} (آل عمـران١٠٣) مـن الـذي يعتصـم ولا يتفـرق؟ مـن المأمـور؟ إنـه أنـا وأنـت وكل غيـور عـلى دينـه. {... وَتَعَاوَنُـواْ عَـلَى الْـبرِّ وَالتَّقْـوَى وَلاَ تَعَاوَنُـواْ عَـلَى الإِثْـمِ وَالْعُـدْوَانِ وَاتَّقُـواْ اللّـهَ إِنَّ اللّـهَ شَـدِيدُ الْعِقَـابِ} (المائـدة٢)، {وَإِنَّ هَـذِهِ أُمَّتُكُـمْ أُمَّـةً وَاحِـدَةً وَأَنَـا رَبُّكُـمْ فَاتَّقُـونِ} (المؤمنون٥٢)، {وَالْمُؤْمِنُـونَ وَالْمُؤْمِنَـاتُ بَعْضُهُـمْ أَوْلِيَـاء بَعْـضٍ يَأْمُـرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَـوْنَ عَـنِ الْمُنكَـرِ وَيُقِيمُـونَ الصَّـلاَةَ وَيُؤْتُـونَ الـزَّكَاةَ وَيُطِيعُـونَ اللّـهَ وَرَسُـولَهُ أُوْلَـئِكَ سَـيَرْحَمُهُمُ اللّـهُ إِنَّ اللّـهَ عَزِيـزٌ حَكِيـمٌ} (التوبـة٧١).

أين واقع الأوامر القرآنية فينا؟!

أيهـا الإخـوة المؤمنـون: لمـن هـذه التعاليـم التـي وردت في هـذه الآيـات؟ لمـن هـذه الأوامـر؟ إنهـا لي أنـا ولـك ولأخيـك ولأختـك ولـذاك ولذلـك ولتلـك، للأمـة كلهـا، إننـا إذا لم نطبقهـا فإننـا نكـون قاصريـن في ديننـا في إيماننـا؟ اذا لم نصلـح اليـوم ونسـع اليـوم إلى تطبيـق هـذه الأوامـر التـي تأمرنـا بالوحـدة والتعـاون وتكويـن الأمـة، فمتـى نصلـح ومتـى نتعـاون؟ متـى ينضـوي أتبـاع مدرسـة أهـل البيـت جميعـا تحـت لـواء واحـد؟ هـل لهـم عـذر في أن يتملصـوا مـن مقتـضى الآيـات؟ أنقـدم عـلى اللـه ونحـن لم

نفكر في تكوين الأمة الواحدة ولا حتى مجرد التفكير؟

سنقدم على الله بأعمال نعتقد أنها ستجنبنا العذاب، وفي الحقيقة نحن مقصرون في أشياء كثيرة، الله لا يقبل الإيمان إلا اذا كان كاملا، نعرف جميعا أن أبسط الجزئيات قد تحبط العمل، رفع الصوت مثلا عند رسول الله يحبط العمل ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ)) (الحجرات٢)، الخروج من عند رسول الله من غير استئذان يخرج عن دائرة الايمان ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ)) (النور٦٢)، فكيف إذا قصّرنا في أعظم الأعمال التي تنجي من عذاب الله، والتي هي من الصفات الملازمة لأهل الإيمان، في أوامر واضحة في كتاب الله، كالاجتماع والوحدة والاعتصام وتكوين الأمة الداعية الى الخير الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر، إنها من أهم الواجبات كما هو واضح في الآيات السابقة.

يقول الإمام القاسم بن إبراهيم (عليه السلام): (وعليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؛ لأن على كل مؤمن إذا رأى منكرا - بما يجوِّز أن يغيره هو- أن يغيره بكل ما يقدر عليه ويحل له، وإن كان مما لا يجوِّز أن يغيره إلا لإجماع المؤمنين بالتعاون فعليه أن يغيِّر ويغيِّروا بكل إمكانهم).

أمة منظمة

إن هذه آيات الله في كتابه تدعونا لنكون أمة واحدة منظمة تعمل بشكل جماعي منظم، وتحذِّرنا من الفرقة والشتات، فتجارب الأمم

القوية حتى تلك الأمم الكفرية لما اعتضدت ببعضها، ونظّمت شؤون حياتها قويت شوكتها، وعلا سلطانها، إن سنة الله في الخلق كذلك تدعونا إلى النظام وتوزُّع الأعمال, فالكون يسير بشكل منظم وموحد، والعمل الجماعي المنظم يجعل مخلوقات صغيرة غير عاقلة كالنمل والنحل تستطيع أن تقوم بأعمال عظيمة ومدهشة؛ لأنها تعمل بنظام، وتكوّن فِرَقا، يقوم كل منها بعمل معين، ويشرف عليها مشرف معين, ونحن إذا كوّنا أمة واحدة منظَّمة سنحقق النجاح وننهض بالدين, نوزع الأعمال ويضاف لكل شخص ما يحسن القيام به وتكون هناك رقابة وإشراف واستفادة من كل شخص فنقوم بواجباتنا كما يريدها الله.

ان من الواجب علينا اذاً أن نستشعر المسئولية وأن نوحّد جهودنا ونشعر بأهمية العمل الجماعي المنظم وتكوين الأمة لنشر هذا الدين وتخليص المجتمع من هذه المآسي والجور والفساد وإقامة دين الله في الأرض.

ثقافة الانتظام والتنظيم ثقافة عالية

إن العقلاء في هذا العالم جميعا يؤمنون بأهمية العمل الجماعي والمنظم، أعداء الإسلام لم يصلوا إلى ما وصلوا اليه إلا بفضل تنظيمهم واستشعارهم لأهمية العمل الجماعي، ولنا عبرة بكثير من الفرق التي لم يكن لها ذكر لكنهم وحّدوا جهودهم ونظّموا أنفسهم، فاستطاعوا في فترة وجيزة أن يحققوا نجاحات عظيمة، وإنجازات عملاقة في مجالات مختلفة وعديدة، علماء الإدارة يقولون: إن اثنين أو أكثر من الناس ينهمكون في تحقيق هدف محدد مع اتجاه ذهني إيجابي يمتلكون قوة لا تقهر.

ونحن أتباع أهل البيت عليهم السلام إلى متى نبقى متفرِّقين مشتتين؟ ألم يحن الوقت إلى أن نوحِّد جهودنا ويستشعر كلٌّ منا الخطر الداهم على الدين، إذا بقينا هكذا. يجب أن نعمل شيئا قبل الحسرة والندامة، لو مكثنا على هذه الحالة المأسوف عليها فما أحقنا بقول أمير المؤمنين عليه السلام: (عجبت من اجتماع القوم على باطلهم وتفرقكم على حقكم).

جبهاتهم متعددة وجبهتنا قاصرة

إن أعداء الامة من الداخل والخارج يعملون جاهدين لإفساد الأمة وحرفها عن ثقافتها ودينها بشكل منظم قد لا تبلغه عقولنا وإمكاناتنا مستخدمين وسائل متعددة إعلامية، اقتصادية، ثقافية،... ونحن لن نكون على قدر المواجهة إلا إذا تنظّمنا مثلهم، وواجهناهم، ودافعناهم بشتى الوسائل إعلامياً وثقافيا واقتصاديا، وهذا لن يتحقق إلا إذا كونّا أمة منظمة متوزعة الأعمال، تستوعب جهود الأفراد جميعاً كلاً حسب ما يحسنه، أما إذا استغرقنا جهودنا في مجال معين وتركنا مجالات أخرى ذات أهمية كبيرة؛ فإننا لن نحقق النجاح وسنُهْدِر طاقات كثير من الأفراد، وستلتهم المجالات الأخرى كل جهودنا المحصورة في ذلك المجال، سنرى أنفسنا قلة قليلة محصورين في مجال واحد لا نستطيع أن نغادره، ولا يستطيع أحد من الناس الآخرين الذين لا يروق له طريقتنا أن يأتي إلينا؛ فالناس خلقهم الله متنوعين في القدرات والمهارات والاهتمامات والاتجاهات والأعمال، ولن نستغل هذه القدرات إلا إذا اهتممنا بجميع المجالات، وكوّنّا أمة توظِّف جهود الجميع في خدمة هذا الدين.

التنظيم والتغيير

إن إحداث التغيير المنشود في المجتمع عملية شاقة ومُجْهِدة تستلزم أن نظافر جهودنا، ونعمل ضمن خطة موحدة، وعمل موحد، وتنفيذ منظم، فليس البديل عن العمل الجماعي والتنظيم إلا التفرق والفوضى وعدم التخطيط وانتهاج الفردية والعفوية، وهذا من أسباب الفشل والتفرق وعدم الوحدة الذي حث عليها الإسلام حثاً بليغاً، ويؤدي أيضا الى تفرد أعدائنا بالقوة ضدنا مما يؤدي الى زيادة الفساد والمعاناة.

رسولنا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ اهتم بالتنظيم اهتماماً بالغاً بل مثَّلت حياته التنظيم في أبهى صوره، حثَّ على جعلِ أميرٍ على رأس كل مجموعة: ((أيما قوم خرجوا في سفر لم يؤمّروا عليهم أميراً فقد عصوا الله ورسوله)، (يد الله مع الجماعة)، حدد لكل شخص عمله حسب ما يناسبه وحث على السمع والطاعة للقيادة ونحن ملزمون ان نقتدي به وننحو آثاره .

إن التنظيم يجعلنا نهتم بجميع الجوانب فالإسلام دين شامل لكل نواحي الحياة، كما أن الفوضى وضعف التنظيم يؤديان إلى الفشل والاختلاف والخصومة والتنازع والتعصب والانقسام وفي النهاية الى اليأس عندما نصل إلى قناعة بعجزنا عن تغيير الواقع، وهذا هو ما يريده أعداؤنا، لأنهم ليسوا في غفلة عنا, هم متوحدون ومنظمون، ويبذلون جهودا جبارة لحرب الاسلام والمسلمين، وينتهجون وسائل مختلفة ومنظمة للفساد والإفساد، ونحن أفلا نكون مثلهم؟! أفلا نتوحد كما توحدوا ضدنا؟!. قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ} (الأنعام١٥٩).

نعم إن الوحدة وتكوين أمة موحدة منظمة لمهمة صعبة، والشيطان يعلم أنها أساس إقامة الدين؛ لذلك يسعى هو وجنوده لإعاقتنا عن

تحقيق ذلك بكل ما أوتوا، يسعون جاهدين لتفريقنا، لصدنا عن تكوين هذا المشروع، بإثارة اسباب الفرقة وإيجاد المبررات التي يكون ظاهر بعضها مقبولا وشرعيا عند بعضنا.

عوامل تكوين الأمة

أيها الإخوة المؤمنون

إن تكوين الأمة يحتاج إلى إيمان خالص وحذر عميق من مكائد إبليس الرجيم, أن نخلِّص نفوسنا من الحسد، من الكبر، من سوء الظن، أن نغلِّب المصلحة العامة على المصلحة الشخصية، أن لا نبحث عن المكانة الفانية الزائفة، نحن حينئذ بحاجة إلى التضحية، البذل، النشاط، الأخوة، الحقيقة، الصبر، الانقياد، والخضوع لله ولأوامره، الشعور بأنني باعتباري مؤمنا همي الأكبر هو إرضاء الله في أي موقع كنت، همي أن أحمل الواجب الذي عليّ حسب ما تقتضيه المصلحة العامة, المهم أن أعمل عملا لصالح الأمة، أن أؤدي الواجب حيثما كان، أن يؤمن الفرد أن الجزاء والثواب هو على ما يبذله من جهد وعمل، وليس على حسب ما حصله من منصب فالله لا تخفى عليه خافية.

نحن بحاجة إلى إيمان حقيقي لا تشوبه شائبة كبر أو رياء أو حب سلطة أو فخر أو منصب، نحن بحاجة إلى أخلاق عالية من جميع الأفراد، بحاجة إلى نكران للذات وخضوع كامل لله.

حينما يكون لدينا إيمان كامل كما يريده الله فحينئذ يتحقق وعد الله، ومن يسعى إلى الفرقة وعدم الالتزام بالعمل الجماعي فإن ذلك إما لجهله بأهميته، او لأنه بحاجة إلى إعادة النظر بعين البصيرة في أمره، علينا أن نراجع أنفسنا ونحاسبها قبل أن نحاسَب.

لن تتحقق الأمة إلا بإيمان حقيقي بوجود المحبة والأخوة الإيمانية

فيما بيننا؛ ولهذا يعمل الشيطان الرجيم على بث الكراهية والحسد والبغضاء وسوء الظن والعداوة فيما بيننا، {إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ} (المائدة٩١)، إذا استطاع أن يوجد العداوة استطاع أن يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة أي عن طاعة الله بشكل عام.

الشيطان الرجيم وأعوانه شياطين الإنس والجن يريدوننا كما نحن اليوم أمة ضعيفة ذليلة متأخرة متشرذمة مفرقة، والله يريدنا أمة واحدة كجسد واحد يربطها رابط الإيمان، تربطها الأُخوة الإيمانية، لا ينظر فيها الفرد إلى شخصه ولا إلى مصلحته، أمة تنظر إلى دينها وإلى ما وجهها إليه ربها من التعامل بالإحسان والصدق وحسن الظن ونشر المحبة والأخوة فيما بينها، إلى التسامح والتصافي والتنازل لأجل الله, هؤلاء هم الذين يستطيعون أن يكونوا أمة متكاتفة متعاضدة تقوم بواجباتها الفردية والجماعية وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

يجب علينا أن نقنع نفوسنا بوجوب تكوين أمة موحدة، وأن نعمل في إطار منظم مهما كانت الصعاب، ومهما كانت العقبات، يجب أيضاً أن نقنع نفوسنا بالتفاؤل بالنجاح، بل نؤمن به إيمانا عميقا، فالله تعالى قد وعدنا وهو أوفى وأصدق القائلين {... وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (الحج٤٠)، ننصره ببذل الأسباب التي تؤهلنا للنصر بالتغلب على هوى أنفسنا وتكوين الأمة المؤهلة للنصر، أي علينا أن نغير أنفسنا أولاً، فالله {... لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ} (الرعد١١).

اتهم نفسك أولا

لقد تعوّدنا أننا عندما نسمع الوعظ والنقد نعترف به في الجملة، ولكن كل واحد منا يقول في نفسه: أما أنا فإنسان صالح, أنا إنسان مثالي، أنا إنسان ملتزم لكن الناس هم الفاسدون، فلان هو السبب، هكذا هي عادتنا عندما نسمع كلام الله ونسمع المواعظ، لا، لا يجب أن نبقى هكذا، على كل إنسان أن يحاسب نفسه بصدق، أن يصلح نفسه ولا يهمه انتقاد الآخرين، إن الله عز وجل يقول لنبيه محمد وأصحابه صلى الله عليه وآله وسلم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} (المائدة١٠٥).

إذا اهتديتُ أنا كشخص، واهتدى الآخرون كأشخاص، سنكون حينئذ مجتمعا صالحا وأمة مؤمنة، أما إذا سمع الواحد منا النقد والموعظة ووجّهها مباشرة للآخرين فإننا لن نصلح، إذا صرفنا عن أنفسنا كل عيب فمعناه أننا لم نحاسب أنفسنا، وهذه من مكائد الشيطان يبرمجنا على هذه الحالة حتى لا نستفيد من النقد والمواعظ، إنه يجعلنا نسلِّم بكل ما نسمع لكن نصرفها عن نفوسنا ونلقي بالنقد على الآخرين، وهذا شيء مؤسف ومعيب.

يجب أن نرجع إلى أنفسنا، لماذا ندعي أن الآخر هو المخالف والمتعدي؟ لماذا لا أكون أنا هو المخالف؟ أنا من خرج من الطريق؟ أنا من زرع بذور الفرقة والشتات حتى بدون قصد؟ لم لا أراجع نفسي؟ لم لا أراجع ضميري؟ لم لا أراجع ما بيني وبين ربي وخالقي لأنظر في تصرفاتي لأنتقد نفسي ؟

سئل الحسن البصري، فقيل له: لماذا لا نسمعك تذكر أحدا من الناس؟ قال: لأني لم أفرغ من محاسبة نفسي لأتفرغ إلى محاسبة

الآخريـن. يقـول: لازلـت أنقـد نفـسي، لا زلـت أصلـح شـؤوني، والأخطـاء التـي فيّ، لم أفـرغ لأنظـر في أخطـاء الآخريـن، ونحـن بالعكـس ننـسى أنفسـنا وننظـر إلى الآخريـن إذا سـمعنا النقـد أو الموعظـة وجههـا إبليـس في أنفسـنا مبـاشرة إلى الآخريـن، نقـول: نحـن متفرقـون ولكـن لسـت أنـا السـبب، نحـن متشـتتون، ولكـن لسـت أنـا السـبب، لا توجـد بيننـا أخـوة إيمانيـة، ولكـن لسـت أنـا السـبب، لا يوجـد بيننـا رابـط إيمـاني ولكـن لسـت أنـا السـبب، لا نتعـاون عـلى البـر والتقـوى ولكـن لسـت أنـا السـبب، كل هـذه الأشـياء نوجههـا إلى غيرنـا، وبهـذا نبقـى في دائـرة مفرغـة لا نسـتطيع أن نغـادر خلافاتنـا، ولا نسـتطيع أن نتلمـس مواضـع أخطائنـا.

لابـد أن يرجـع كلٌّ منـا إلى ضميره ليراجـع حسـاباته، ينظـر إلى تصرفاتـه، ينظـر إلى كتـاب ربـه، ينظـر إلى التوجيهـات الإلهيـة التـي وجههـا اللـه إليـه كفـرد، فـكل آيـة في القـرآن تخاطـب كل واحـد منـا، نحـن نعلـم أننـا مـا دمنـا متفرقـين ولسـنا أمـة متحـدة أن هنـاك خللا فينـا يجـب أن نصلحـه؛ فلنحاسـب أنفسـنا قبـل أن يحاسـبنا اللـه، لا ينبغـي أن يتمسـك كلٌّ منـا برأيـه المخالـف.

قـال الامـام مجدالديـن بـن محمـد المؤيـدي عليـه السـلام((إن الضـلال لم يكـن في هـذه الأمـة والأمـم الخاليـة إلا مـن طريـق اتبـاع الهـوى، وهـو الأصـل في الإعـراض عـن الحـق، والركـون إلى الدنيـا، ومجانبـة الإنصـاف، ومطاوعـة الكـبراء والأسـلاف)).

التثبُّت التثبُّت

نعـم لـكل واحـد وجهـة نظـر، لكـن يجـب أن نتريّث قبـل إصـدار الأحكام، يجـب أن نتمهّـل ونجمـع الظـروف والحيثيـات الصحيحـة قبـل إصدارهـا، كـم مـن آراء كنـا نعتقـد أنهـا هـي الصـواب ثـم تبـين لنـا خطؤهـا، وتتحمّـل

العشوائية وتصديق الشائعات وانعدام النظام جزءا كبيرا من هذه الأخطاء، ولنعلم أننا إذا كنا أمة وعملنا حتى على أضعف رأي فإننا سنحقق نجاحا باهرا وغير متوقع، أما إذا تفرقنا وتمسك كلٌّ منا برأيه فإننا لن نحقق شيئا بل سنبوء بإثم التفرق والتشتت وعدم الوحدة، فلنحاسب أنفسنا قبل أن يحاسبنا الله، قبل أن يبدو لنا من الله ما لا نحتسبه، كما قال تعالى {... وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} (الزمر٤٧).

يجب أن نعترف أننا بشر لنا أهواؤنا، لنا مصالحنا، لنا شياطين تحاول أن تغوينا، لنا أنفس أمارة بالسوء، إن اولياء الله ما زالوا ولم يزالوا دائماً يخافون على أنفسهم من أنفسهم ومن شياطينهم، فكيف ندعي العصمة لأنفسنا؟ كيف ندعي أننا من الذين لا يخطئون؟!.

آن الأوان

لنصلح أنفسنا حتى يصلُحَ مجتمعنا، لنرجع إلى بث روح الأخوة والتسامح والتصافح والإيثار والعفو والمغفرة وحسن الظن {... وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (النور٢٢)، إذا لم نتسامح فيما بيننا فلن يتسامح الله معنا, لقد أمر رسول الله (ص) أحد أصحابه قائلا: (صل من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك)، ألا يجدر بك أن تتبع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لا تقابل السيئة بالسيئة، بل قابل السيئة بالحسنة، إن الله وصف المؤمنين بقوله: {... وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ} (الرعد٢٢)، ويقول: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} (فصلت٣٤).

فهل نعمل بتوجيهات ربنا؟ هل نطبِّق أوامره؟ هل نحن مؤمنون

كـما أراد اللـه منـا أن نكـون؟ ...

أعتقـد أننـا نحتـاج أن نقـف مـع اللـه وقفـة صادقـة, مـع أنفسـنا, مـع ضمائرنا, مـع كتـاب ربنـا، مـع تعاليـم نبينـا صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم , لنقيـس انفسـنا بالمقيـاس الصحيـح، لنعـرض انفسـنا عـلى القـرآن هـل نجـد الصفـات التـي وصـف اللـه بهـا عبـاده المؤمنـين في القـرآن متمثلـة فينـا ام لا، لنعيـد رسـم علاقتنـا مـع اللـه ومـع مـا يريـده اللـه منـا في هـذا الوجـود عـلى أسـاس مـن البصـيرة والتقـوى والخـوف منـه والرجـاء فيـه، إن دعـاوي المـرء لنفسـه أو لغـيره لا تنفـع عنـد اللـه عـز وجـل (ليـس الديـن بالتمنـي ولا بالتحـلي ولكنـه مـا وقـر في القلـب وصدّقـه العمـل) كـما قـال صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم، يقـول تعـالى: {لَّيْـسَ بِأَمَانِيِّكُـمْ وَلا أَمَـانِيِّ أَهْـلِ الْكِتَـابِ مَـن يَعْمَـلْ سُـوءاً يُجْـزَ بِـهِ وَلاَ يَجِـدْ لَـهُ مِـن دُونِ اللّـهِ وَلِيّـاً وَلاَ نَصِـيراً} (النساء١٢٣)، ليـس عنـد اللـه محابـاة ولا مجاملـة لأحـد {فَمَـن يَعْمَـلْ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ خَـيْراً يَـرَهُ (٧) وَمَـن يَعْمَـلْ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَـرَهُ} (الزلزلـة٨).

أيها الإخوة المؤمنون

هـل آن الأوان لأن نستشـعر مـا يجـب علينـا، أن نكـون الأمـة التـي أرادهـا اللـه؟ هـل آن الأوان لأن نحمـل رايـة العلـم والجهـاد في سـبيل اللـه؟ هـل آن الأوان لأن ننفـض غبـار الـذل؟ هـل آن الأوان لأن نفعّـل الأوامـر والتوجيهـات الربانيـة في نفوسـنا وفي واقعنـا؟ هـل آن الأوان لأن نكـون متدينـين بديـن الرحمـة؟ بديـن التسـامح؟ هـل آن الأوان لأن نجـد منهـج أهـل البيـت منهـج الجهـاد والاجتهـاد واقعـا فينـا؟ هـل آن الأوان لأن نعمـل جميعـا وسـويا بمـا يثمـر عمـلا ناجحـا وفعـالا وكبـير التأثـير؟ هـل آن الأوان لنجعـل القـران حيـا في قلوبنـا وواقعنـا نسـتفيد منـه الـدروس والعـبر نسـتقي منـه الهـدى والنـور فهـو كتـاب هدايـة.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، رب العالمين.
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين

****

****

****

****

****

****

تم بحمد اللّه

المُلتقى الإسلامي

للتوعية والتأهيل

حقوق الطبع محفوظة